الموت والحياة البرزخية
دراسة عقدية

عبد الله برك عوض بالطيور*

تاريخ تسلُّم البحث : 2025/2/1م تاريخ قبول النشر : 2025/3/11م

الملخص

بعد حمد الله عز وجل والثناء عليه، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، تناول هذا البحث الموسوم بـ(الموت والحياة البرزخية) دراسة عقدية عن الموت والحياة البرزخية التي غابت عن فكر الإنسان ولكي لا يحدث الشطط والغلط في هذه الأمور الغيبية ومنها الحياة البرزخية كان لنا في آيات الله عز وجل ومن واقع رحمته في عباده إيضاح وبيان وتفصيل لكل ما أخفي عَنا من حقائق خلقية كونيه مع إخفاء الكيفية لأنها من صلب الامتحان والابتلاء اللذين أوجبهما الله سبحانه على عباده في الأرض، وهذه هي سنة الله تعالى في خلقه، ولا أحد من البشر يملك لسنته تبديلاً أو تغييرًا.

اقتضت خطة البحث أن يقسم على مقدمه وثلاثة مباحث، كل مبحث يشتمل على مطلبين، وخاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

استهدفت هذه الدراسة بيان تعريف الموت في النص الشرعي وعند مفكري الإسلام.

كما رمت إلى التعرف إلى سكرات الموت في القرآن والطب الشرعي، وبيان الحكم الشرعي في نهاية الحياة الإنسانية ومن ثم فإنَّ الموت ينقل العبد من دار الدنيا إلى دار البرزخ.

كما توصلت إلى عدة نتائج منها:

أن الموت صفه وجودية خلقت ضد الحياة وأن الانسان يموت عندما تفيض روحه وتمسك نفسه من الخالق عز وجل ، وتبين من خلال الدراسة عند مفكري الإسلام أن الموت هو مفارقة الروح للبدن مفارقة تامة، عرف بأثرها في الجسم بظهور أمارات الموت، كما بينت الدراسة أن الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من دار الدنيا إلى دار البرزخ التي جعلها الله بحكمته محلًا للفتنة ومن ثم النعيم أو العذاب ، كما اتضح من خلال الدراسة أن الأمن في الحياة البرزخية يختلف باختلاف متعلقاته، فتارة هو أمن عند الخوف، وتارة يكون أمنًا من العذاب الحسي والمعنوي، وبينت أن الله عز وجل أعد في الحياة البرزخية أنواعًا من النعيم منها البشارة بالجنة والأمن والنعيم في الحياة البرزخية، كما أن الموت واقع لا مفر منه فهو ليس من علم الغيب، بل هو حقيقة مترتبة أمام أنظارنا نشاهدها مئات المرات في حياتنا ونراها في أقرب الناس إلينا.

المقدمة:

لله تعالى على عباده في الأرض سنن، ولا يملك أحد من البشر لسنة الله تبديلًا ولا تغيرًا، ومنها خلقه سبحانه وتعالى للموت والحياة، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك:2]

مما لا شك فيه أن كل إنسان على وجه الأرض، منذ أن خلق الله آدم وإلى آخر إنسان يوم القيامة يبحث عن الموت، وما وراء الموت، ويتمنى أن يعرف الحقيقة كاملة، دون زيادة ولا نقصان ولا وهم ولا خرافة.

ولكي لا يحدث الشطط والغلط في تلك الأمور الغيبة، ومنها الحياة البرزخية، كان لنا في آيات الله تعالى، ومن واقع رحمته في عباده، إيضاح وبيان وتفصيل لكل ما أخفي عنا من حقائق خلقية كونية، مع إخفاء الكيفية لأنها من صلب الامتحان والابتلاء اللذين أوجبهما الله سبحانه قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ

* أستاذ العقيدة والأديان المشارك- قسم الدراسات الإسلامية- كلية الآداب- جامعة حضرموت

وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك:2]

ومن الآية الكريمة ندرك سر إخفاء الله عزوجل علم الغيب لوقوع البشر في الامتحان العقلي الذي يدلهم على خالق دون براهين محسوسة ومرئية للعين، فعالم الملائكة والجن وحقائق الكون التي يحار العلماء في فهمها حتى الآن وكذلك البعث والنشور ويوم القيامة وكذلك الحياة البرزخية كلها حقائق ثابتة، القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فصل فيها القول كثيراً دون معرفة الكيفية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الأمور الآتية:

1- أن الحياة البرزخية انتقال من دار الدنيا انتظارًا فيها للوصول إلى دار الآخرة.

2- أن الحياة البرزخية تُعد انتقالًا من دار الفناء إلى دار البقاء.

3- الحياة البرزخية زمنها من الموت وحتى نفخة البعث.

4- أن الموت كان أحد المغيبات الخمس التي اختص الله عزوجل بعلمها دون غيره.

أهداف البحث:

يستهدف البحث بيان هذه الأمور.

1- بيان وتعريف الموت في النص الشرعي.

2- التعرف على سكرات الموت في القرآن والطب الحديث.

3- التعرف على علامات الموت والأحكام المترتبة عليه.

4- بيان الحكم الشرعي في نهاية الحياة الإنسانية.

5- التعرف على أن الموت ينقلُ العبد من دار الدنيا إلى دار البرزخ.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي الوسطي وذلك من خلال المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع وإضافة إلى الدراسات السابقة إن وجدت.

تساؤلات البحث:

ما الموت، وكيف يموت الإنسان؟

هل الحياة البرزخية فناء للإنسان؟

لماذا يكره الإنسان الموت والحياة مليئة بالهموم والمتاعب والأمراض؟

تقسيم خطة البحث:

اقتضت خطة البحث أن يقسم على مقدمة وثلاثة مباحث وكل مبحث يشتمل على مطلبين وخاتمة تتضمن أهم **نتائج البحث**.

أما المقدمة فاشتملت على أهمية البحث وأهدافه ومنهجيته وتساؤلاته.

أما المبحث الأول فجعلته للحديث عن الموت في الفكر الإسلامي، والمبحث الثاني عقدته للبحث عن الحكم الشرعي في نهاية الحياة الإنسانية، والمبحث الثالث جعلته للحديث عن الوعد في البرزخ (الحياة البرزخية) ثم خاتمة عرضت فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذه الدراسة.

المطلع القرآني:

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 99 – 100]

المطلع الحديثي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له".

المبحث الأول:

الموت في الفكر الإسلامي.

المطلب الأول: الموت والاعتبارات التي ارتبطت عند علماء الفكر الإسلامي:

أولاً: الموت باعتباره اللغوي:

فالموت ضد الحياة عند أهل اللغة[1]

يقول الجرجاني[2]: (الموت: صفة وجودية خلقت ضداً للحياة) وقريب منه قول الخرشي[3]: (والموت كيفية وجودية تضاد الحياة فلا يعرى الجسم الحيواني عنهما ولا يجتمعان).

وما ذكره الجرجاني والخرشي في تعريف الموت من تعريف علماء الكلام، وهو مذهب أهل السنة، اما المعتزلة فقد خالفوا على أنه: (عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حيا؛ لأن الموت قطع مواد الحياة عن الحي) [4].

وعليه فما دام الموت ضد الحياة، فإن مظاهره تكون مناقضة لمظاهر الحياة، ومظاهره تبرز في الإدراك والإرادة والحس والحركة والتنفس والنمو والاغتذاء، فتكون مظاهر الموت نقيضها فتبرز في فقدان الإدراك والإرادة وفي عدم الحس وعدم الحركة وعدم التنفس وتوقف النمو والاغتذاء[5].

ثانياً: تعريف الموت في النص الشرعي:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[6]، ويقول ﷺ: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»[7].

هذان النصان يدلان على أن الإنسان يموت عندما تقبض روحه وتمسك نفسه من قبل الخالق، لذلك عرف بعضهم الموت بقولهم: (هو مفارقة الروح للبدن مفارقة تامة) [8].

وإن كانت الروح والنفس لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى وأن قبضهما ورجوعها إلى خالقها من المغيبات التي لا تخضع للعلم التجريبي[9]، إلا أن بعض الباحثين يرى في الروح منطلقاً منطقياً للبحث في حقيقة الموت وينكر على بعض المفكرين إعراضهم عن البحث في الروح، ويخلص في بحثه إلى أن الروح مخلوق عاقل نفخه الله في الجسد الإنساني لتسيطر عليه بواسطة المخ[10].

إذن الموت بلغة المنطق خروج الروح من الجسد بأمر الله ﷻ، ولم يعط أحدًا من خلقه هذا الحق.. فالأمر من الله ﷻ والتنفيذ من الملائكة الذين اختصهم بقبض الروح.

هذه سنة الله سبحانه في خلقه ومنذ أن خلق آدم ﷺ وحتى يوم القيامة.... وهذا (الموت) لن تجد له البشرية أي تخرج ولن تستطيع منعه مهما أوتيت من علم ومعرفة ومهما وصلت طبياً وتشريحياً إلى معرفة أسرار الجسد حتى لو وصلت يوماً إلى فك رموز الجينات البشرية (DNA) ومعرفة خرائطها التكوينية.

فالله سبحانه أعطى العقل البشري حدوداً في العلم قد تصل إلى أعلى وأرقى بكثير من المستوى الذي وصلت إليه الآن، على الرغم من انبهارنا بما نراه من اكتشافات علمية وعلى كامل أصعدة الحياة المادية.

ولكن في النهاية يبقى العقل في ضمن حدود (العقل البشري) المجهز بإمكانيات مسبقة من الله سبحانه وهو أعلم بحدوده العليا وأنه يتوقف عند حدود الهرم والموت، وليس له من دونهما حيلة أو مخرج ولن يستطيع إبطالهما أو إلغاءهما أو حتى معرفة أسرارهما.. فالخلية (النطفة) مبرمجة في أساس الخلق على مراحل النمو والتطور ثم الهرم والموت.. مثل سنن الله سبحانه في هذه الحياة وهذا الكون كله.. فالهواء مثلاً برمج على نسب معينة من الأوكسجين والهيدروجين والكربون بما يلزم للحياة، أو قل حياة الإنسان على الأرض والبشرية مجتمعة لا تستطيع ولا تملك حيال تغيير النسبة المقررة مسبقاً من الخالق حولاً ولا قوة وما ينطبق على مثال الهواء ينطبق على مثال الماء والتراب.. والأمثلة في هذا الأمر كثيرة.

فكل أمر مهما كبر أو صغر هو من سنة الله لا يتبدل ولا يتغير حتى يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها، والدليل هذا التاريخ الطويل للبشرية التي لم تستطع من خلاله أن تغير أو تحول أو تبدل من سنة الله شيئاً، وقد بين سبحانه أمره وإرادته في هذه الحياة التي تعيشها البشرية منذ أن خلقها وإلى أن يرث الأرض

ومن عليها يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[11]. وقال تعالى: ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[12].

وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [13].

ثالثاً: سكرات الموت في القرآن والطب الحديث:

وقد أسماها القرآن الكريم: سكرة.

السكرات: جمع سكرة، وهي مأخوذة من السكر، والسكر تعرض بين المرء وعقله وأكثر ما تستعمل في الشراب المسكر.

ويطلق في: الغضب والعشق والألم والنعاس، والغشي الناشئ من الألم. والأخير هو المراد هنا[14]

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ * وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[15].

كما أسماها: بالمغمرات في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾[16].

كما شبه القرآن الكريم الخائف خوفاً شديداً بمن هو في سكرة الموت حيث قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [17] وذلك: لذهاب عقولهم، حتى لا يصح منهم النظر إلى جهة محددة[18].

وحيث قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾[19]. أي كمن يشخص بصره عند الموت، وذلك لجبنهم وخوفهم[20].

سكرات الموت في الطب[21]: وهي في نظر الطب: عبارة عن توقف الأعمال الحيوية في الجسم، نتيجة لتوقف أجهزة وضعها البارئ سبحانه وتعالى في البدن.

وهذه الأجهزة هي: الجهاز الدوراني، والجهاز العصبي، والجهاز التنفسي.

وبهذا التوقف: يكون الشخص غير قابل للانتعاش، ثم تحدث تغيرات بالجسم تمنعه من العودة إلى الحياة، وسنعرض لها بعد قليل، وهنا يقال إن الشخص قد مات.

رابعًا: علامات الموت والأحكام المترتبة عليه:

أ. لم يرد في القرآن الكريم تعريف صريح للموت، وإنما وردت إشارات عامة عنه منها قوله تعالى في وصف النزع الأخير: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[22]، ولم تتعرض السنة النبوية المطهرة لتعريف الموت أيضاً، وقد حاول بعض مفكري الإسلام تعريف الموت بناءً على المعارف التي كانت سائدة في زمان كل منهم، فذكروا تسع أمارات دالة عليه:

1- انقطاع نفسه.
2- إحداد بصره.
3- انفراج شفتيه فلا ينطبقان.
4- انخلاع كفيه من ذراعيه، أي: انفصال زنديه.
5- تمدد جلدة وجهه.
6- تقلص خصيتيه إلى فوق مع تدلي الجلدة.
7- اعوجاج أنفه وميله.
8- انخساف صدغيه.
9- استرخاء قدميه وسقوطهما فلا ينتصبان.

ثم يقول (وأن من مات فجأة كالمصعوق، أو خائفًا من حرب، أو سبع، أو تردى من جبل انتظر به هذه العلامات حتى يتيقن موته) [23].

وفي المغني لابن قدامة حيث يقول: ومن علامات الموت:

1- استرخاء رجليه.

2- انفصال كفيه.
3- ميل أنفه.
4- انخساف صدغيه.
5- امتداد جلدة وجهه – أي ترهلها[24].

وكل هذه العلامات تتوفر في كل من يذوق طعم الموت.

وهي علامات غير يقينية على الموت، وقد تنبه الناس منذ القديم إلى احتمال وقوع الخطأ في تشخيص الوفاة وقد سجل التاريخ حالات كثيرة ظن الناس فيها أن الشخص قد توفي وهو ما زال على قيد الحياة، ولهذا رأى بعض مفكري الإسلام تأخير الحكم بموت الشخص وتأخير تجهيزه ودفنه حتى يتقين موته، ومن ذلك ما قاله النووي رحمه الله: (فإن شك بأن لا يكون به علة، واحتمل أن يكون به سكتة، أو ظهرت أمارات فزع أو غيره، أُخر إلى اليقين بتغير الرائحة وغيره)[25].

ب. علامات الموت في الطب الحديث: أما الطب الحديث فقد كشف عن أن الموت يمر بثلاث مراحل: ففي الأحوال العادية تبدأ ظاهرة الموت بتوقف القلب والتنفس، وبهذا يتوقف ورود الدم المحمل بالأكسجين إلى بقية الأعضاء، فيسري فيها الموت بالتدرج، وأول الأعضاء التي تموت من جراء ذلك هي الجملة العصبية (المخ، المخيخ، جذع الدماغ..) التي تموت عادة في غضون دقائق معدودات من توقف ورود الأكسجين إليها، ثم يسري الموت إلى بقية الأعضاء على مراحل تتفاوت من عضو إلى عضو، حتى تموت جميع خلايا البدن ويحصل ما يسمى الموت الخلوي، وهي المرحلة الختامية من مراحل الموت.

ونظراً لأن علامات الموت قد تلتبس ببعض الحالات الأخرى، كالإغماء مثلاً، فإن الأصل أن يترك تقرير الوفاة للأطباء لأنهم أعلم من غيرهم بعلامات الموت، وهذا ما انتهت إليه (ندوة الحياة الإنسانية) التي عقدت في الكويت يوم الثلاثاء 24 ربيع الآخر 1405هـ (15 كانون الثاني، يناير 1985م) حيث ورد في توصياتها: (أن تشخيص الموت والعلامات الدالة عليه كان على الدوام أمراً طبياً، يبني الفقهاء بمقتضاه أحكامهم الشرعية)[26].

فإذا وُجد الطبيب تُرك له التقرير بوفاة الشخص، وهذا هو الإجراء المتبع اليوم في مختلف القوانين الطبية التي تقيّد التصريح بالدفن وشهادة الوفاة بالتقرير الطبي الصادر عن الطبيب، فإذا لم يكن هناك طبيب وقت الوفاة وأمكن الانتظار ريثما يحضر وجب الانتظار ليكشف على الجثة ويتيقن من الوفاة، أما إذا خيف على الجثة الفساد، أو كانت الوفاة في مكان ناءٍ أو منقطع ولا يوجد فيه أطباء، فيمكن حينئذ الاعتماد في تقرير الوفاة على العلامات المعروفة من توقف القلب والتنفس ونحوه، كما ذكرنا: (انظر: موت الدماغ)

وقد جمعها بعض العلماء الباحثين وأجملها في هذه الأحكام، وهي على نوعين:

النوع الأول: ما هو من قبيل العبادات:

1- توجيه الميت إلى القبلة.
2- عدم تركه وحده قبل دفنه.
3- الإسراع في تجهيزه بالتغسيل والتكفين والصلاة عليه ودفنه.
4- سؤال التثبيت له بعد دفنه.

النوع الثاني: ما هو من قبيل المعاملات:

1- تسديد ديونه من التركة ورد الأمانات إلى أهلها.
2- توزيع ماله حسب الميراث والوصية.
3- انتقال ماله من ملكه إلى الورثة والوصية المأذونة شرعاً.
4- ملك الوارث لما يستحقه من الميراث من مال الميت.
5- سقوط النفقات التي تجب حال حياته.
6- ارتفاع النكاح وبدء العدة لامرأته، وانتقالها من عدة الطلاق إلى عدة الوفاة.

7- حلول المهر والدين.
8- انفساخ عقد الوكالة وعقد القراض.
9- وجوب القصاص أو الدية حسب نوعيه الجناية.
10- لزوم عقد البيع إذا مات أحد المتعاقدين في مجلس الخيار.
11- رد الأمانات إلى أصحابها.
12- تولية خليفة أو تنصيب إمام أو قاض بدلا من الميت.
13- عزل بعض الولاة بموت الإمام.
14- نقض الهدنة والنظر في العهود وما إلى ذلك[27].

المطلب الثاني: محاولة الوصول إلى ضابط للموت من خلال كلام مفكري الإسلام:

1- أن النصوص الشرعية التي أفادت أن الإنسان يموت عندما تقبض روحه وتمسك من قبل الخالق سبحانه وتعالى لم تحدد اللحظة التي تقبض فيها الروح وتمسك فيها النفس وتنتهي الحياة فيها، وكل ما ورد من ذلك أن الروح إذا قبضت تبعها البصر[28].

وأما انتصار بعض الباحثين المعاصرين[29] الذين لا يرون الروح من الغيبيات التي يحظر على المسلم الخوض فيها معللاً إياه بقوله: (ومما يدل على سلامة منهج أولئك العلماء الذين تكلموا في الروح وفصلوا القول في شؤونها، أنهم أرجعوا كلامهم في الروح إلى نصوص من كتاب الله وسنة رسول ﷺ)، فإنه يجاب عليه بأن النصوص التي ألمح إليها والتي تتناول مبدأ تعلق الروح بالجسد وتآلفها وتعارفها وتناكرها واختلافها وكيفية خروجها من جسد المؤمن، ومن جسد الكافر، هذه النصوص لا تسعف في تحديد اللحظة التي تقبض فيها الروح ووضع ضابط للموت كما هو المقصود.

2- فإذا كانت الروح من المغيبات أو كان البحث فيها بهذه الإشكالية فإنه لابد من الاعتماد على أثرها في الجسم بظهور الأمارات التي تدل على حصول الموت.

فمن المتقرر أنه لا يحكم بالموت إلا من تيقنه، فإن حصل شك مع حصول الأمارات كأن لم تكن به علة ومات فجأة أو كان مصعوقا أو خائفا من حرب أو سبع أو تردى من جبل أو مات تحت الهدم فلا يحكم بموته إلا مع التيقن.

وقال أحمد رحمه الله: أنه ربما تغير في الصيف في اليوم والليلة، قيل: فكيف تقول؟ قال: يترك بقدر ما يعلم أنه ميت: قيل له: من غدوة إلى الليل، قال: نعم[30].

وقال الخرشي[31] فيمن يموت غرقاً: (فلا يسرع به خوف غمر الماء قلبه ثم يفيق فيؤخر حتى يظهر موته أو تغيره).

وفي روضة الطالبين[32]: (أخر إلى اليقين بتغير الرائحة أو غيرة).

وفي الهندية[33]: (... فإن مات ترك حتى يتيقن بموته).

3- وقد زاد بعض الباحثين[34] على الأمارات التسع التي يظهر بها الموت عند مفكري الإسلام ما يأتي:
1- توقف القلب عن العمل.
2- تغير لون الميت.
3- عدم انقباض عينه عند اللمس.
4- سكون الحركة من البدن كله.
5- عدم نبض عرق الكعب والعرقوب وعرق في الدبر.
6- غيبوبة سواد عينيه، في البالغين.

وتجدر الإشارة إلى أن توقف القلب عن العمل، ليست علامة للموت عند مفكري الإسلام القدامى، بل هي علامة اعتد بها الأطباء قبل تقدم علوم الطب واكتشاف الأجهزة الطبية الدقيقة وأجهزة الإنعاش، وتركز الانتباه على دقات القلب كعلامة مؤكدة على استمرار الحياة تتوقف بتوقفها منذ ظهرت السماعة الطبية فقط[35].

الخلاصة: أن الموت عند مفكري الإسلام هو: مفارقة

الروح للبدن مفارقة تامة، عرف بأثرها في الجسم بظهور إمارات الموت، وهي انقطاع نفسه وإحداد بصره وانفراج شفتيه وانخلاع كفيه من ذراعيه وامتداد جلدة وجهه وتقلص خصيتيه إلى فوق وانخساف صدغيه واسترخاء قدميه وسقوطهما، فإن حصل شك مع وجود الأمارات لم يحكم به إلا مع تيقنه بتركه وتأخير دفنه حتى يظهر موته.

المبحث الثاني:

الحكم الشرعي في نهاية الحياة الإنسانية

رؤية مفكري الإسلام حول نهاية الحياة الإنسانية:

الحالة التي نحن بصدد بحث آراء الباحثين فيها هي حالة شخص مات جذع دماغه أو دماغه كله وما زال تحت أجهزة الإنعاش فالقلب يعمل والتنفس مستمر وأمارات الموت عند مفكري الإسلام لم يتحقق منها شيء، وإذا ترك تحت الأجهزة ليتيقن موته على منطوق مفكري الإسلام لم يتغير، فهل يحكم بموت هذا الشخص بالرغم من عدم توفر أمارات الموت التي ذكرناها وذلك لموت دماغه على وقف ما يخبر الجهاز الكهربائي أو يترك حتى يموت تحت الأجهزة أو بعد رفعها عنه؟

اختلف مفكرو الإسلام والباحثون المعاصرون في نهاية الحياة الإنسانية على اتجاهين:

الاتجاه الأول: يرى أن نهاية الحياة الإنسانية تكون بموت الدماغ أو جذعه:

أ. موت الدماغ: أي بجميع أجزائه، وهو توقفه تماما عن العمل وعدم قابليته للحياة[37] ويكون ذلك بأحد الأمرين:

الأول: انقطاع الدم 4 دقائق[38] أو (3 – 5) دقيقة[39] فعند توقف القلب عن العمل نهائياً لأي سبب من الأسباب، فإن ذلك يتبعه فوراً فقدان الوعي وتوقف التنفس وهما وظيفتان من وظائف الدماغ الذي لا يتحمل توقف دورته الدموية إلا بثوان معدودة ولو أن خلاياه تظل حية لبعض دقائق إلا أنها تتوقف في أثنائها عن العمل.

ويستتبع توقف الدورة الدموية حرمان جميع أعضاء وأنسجة الجسم من الغذاء اللازم لها وهو أساساً سكر الجلوكوز والأكسجين اللازمين لتوليد الطاقة وتشغيل الخلايا كما أن الفضلات السامة المتخلفة عن هذه العلمية تتراكم في أماكن تولدها لعدم تصريفها بتوقف الدورة الدموية بالأنسجة.

وبناء على هذه التغيرات الكيماوية تموت الخلايا والأعضاء المكونة لجسم الإنسان، ويكون موت الدماغ بعد أربع دقائق، وإذا لم يتمكن الأطباء من إنقاذ القلب بتدليكه وإعطائه صدمات كهربائية مع التنفس الصناعي وإعطاء المنشطات والمسعفات اللازمة خلال هذه الفترة فإن الدماغ يموت[40].

الثاني: الإصابات البالغة والموجهة مباشرة إلى الدماغ عموما في الحوادث (سيارات – ارتطام – إطلاق نار... الخ) أو نتيجة نزف في الدماغ أو نتيجة ورم بالدماغ[41].

ب. موت جذع الدماغ: يحتوي جذع الدماغ على المراكز الحيوية وعلى جميع الأعصاب القحفية الأثني عشر، ويتحكم في:

1- التنفس.

2- الدورة الدموية وضربات القلب.

وأي إصابة في جذع الدماغ تؤثر في هذه المراكز، وتسبب الموت للدماغ كله[42]، لذا فإن موت جذع الدماغ هو الذي تصير به نهاية الحياة الإنسانية عند أكثر الأطباء على الصعيد الغربي[43].

أما أسباب موت جذع الدماغ فهي:

1- إصابات الحوادث والارتطام:

وهي تمثل 50% من حالات جذع الدماغ، وتشمل حوادث السيارات والطائرات والقطارات وحوادث العمل والسقوط والارتطام في أثناء القفز.

2- نزف داخلي في الدماغ:

وتمثل 30% من مجموع الحالات، ويكون النزف فيها ناتجاً من انفجار لأم الدم (انتفاخ في أحد الشرايين)

أو نزف الأم العنكبوتية.

3- مجموعة من الأمراض مثل الأورام والتهاب الدماغ والسحايا – وخراج الدماغ وتمثل حوالي 20% الباقية.

4- يتمثل في توقف القلب أو التنفس الفجائي ونقص تروية الدماغ بالدم وهو نادر[44].

الاتجاه الثاني: يرى أن نهاية الحياة الإنسانية لا يكفي للحكم بها موت الدماغ أو جذعه بل لابد من أمارات الموت التي يحصل بها اليقين:

ويمثل هذا الاتجاه: الشيخ بكر أبو زيد[45] والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي[46] والدكتور عقيل بن أحمد العقيلي[47] والشيخ بدر المتولي عبد الباسط[48] والدكتور توفيق الواعي[49] والشيخ محمد مختار السلامي[50] والاستاذ عبد القادر محمد العماري[51]. والشيخ عبد الله البسام[52] والدكتور محمد الشنقيطي[53]، وعليه فتوى وزارة الأوقاف الكويتية[54].

وقد استدلوا بما يلي:

أولاً: القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾[55].

وجه الدلالة:

أ- أن لفظ ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ في الآية معناه أيقظناهم، لأن أجسامهم كانت حية وفيها الحياة ولم تفقدها.

ب- أن تعطيل الإحساس لا يدل على فقد الحياة.

فالقرآن الكريم في هذه الآيات يقص علينا قصة غيبوبة طويلة ظلت ثلاثمائة عام وظل الجسد فيها صالحاً ثم عاد إليه الإحساس بعد تلك المدة الطويلة وبعد هذه الغيبوبة الكبيرة ولم يسم القرآنُ ذلك موتاً، فلماذا تسمي من يفقد الإحساس لبضعة أيام ميتاً في موت الدماغ ولم يسمه القرآن كذلك في ثلاثمائة عام وازدادوا تسعاً[56].

ثانيًا: الاستصحاب:

1- معناه: الحكم على الشيء بما كان ثابتاً له ما دام لم يقم دليل قطعي بغيره.

2- قواعد الاستصحاب الفقهية: أ. قاعدة «اليقين لا يزال بالشك». ب. قاعدة «الأصل بقاء ما كان على ما كان».

3- وجه الاستدلال به وبقواعده:

ج- أن المريض قبل موت دماغه متفق على اعتباره حيا، فالثابت واليقين والأصل حياته.

د- فإذا مات دماغه:

- فإنه لا يوجد دليل قطعي على انتهاء حياته، والجسد حي ويقبل الغذاء ويبول، وجسده لم يتغير لونه، فهو حي بالاستصحاب.

- أن الموت في حالة موت الدماغ شك، لأن جسده ما زال ينبض، فهو حي بقاعدة اليقين لا يزال بالشك.

- الأصل هو الحياة، فتبقى على ما هي عليه، فيحكم بحياته، لأنه لم يأت ما يغير هذا الأصل ويكون معتبراً[57].

ثالثاً: أن حفظ النفس من الضروريات الخمس في مقاصد الشريعة:

وتحقيق هذا المقصد في إنسان ما زالت فيه حياه نابضة منظورة قوية – وهي حياة الشخص الذي مات دماغه – إنما يكون بالحكم بأنه حي[58].

الترجيح:

يميل الباحث إلى أن الحكم بنهاية الحياة الإنسانية لا يكفي فيه موت الدماغ أو جذعه بل لابد من أمارات الموت التي يحصل بها اليقين وذلك اعتدادا بأدلة أصحاب الاتجاه الثاني.

أما أدلة أصحاب الاتجاه الأول فيجاب عليها بما يأتي:

a. استدلال د. محمد نعيم ياسين فيجاب عنها بما يلي:

1. أنه سوَّغ إخراج الروح من الغيبيات إلى أن النهي عن البحث في كنهها وذاتها بدون جواب إلهي من

الكتاب والسنة وأما معها فلا نهي.

وبالنظر إلى ما سرده من أثر العلماء المسلمين وما ألمح إليه من أدلة فإنه ليس في أي منها ما يسعف على تحديد اللحظة التي تقبض فيها الروح.

2. أن حكمه بأن الروح تسيطر على الجسد بواسطة الدماغ، وأنه إذا حدث موت الدماغ، كان الدماغ عاجزا بصورة كلية عن الاستجابة لإرادة الروح وعجزت سائر الأعضاء بعجزه فترحل الروح عن الجسد، فيه تناقض.

ذلك أنه كيف يستقيم القول بعجز الأعضاء مع كونها حية، القلب ينبض، والرئتان تعملان.... إلخ.

ثم إذا كان الدماغ يعمل وسيط الروح والأعضاء فكيف يموت وما زال في الأعضاء حياة وهو وراء هذه الحياة إلا أن يكون ذلك افتراضاً وليس حقيقة؟

ثم أن رحيل الروح بعد موت الدماغ واستعصاء الأعضاء عليها، فيه إشارة إلى انفكاك رحيل الروح بعد موت الدماغ وأنه بعده، فإن كان بعده فكم هي المدة، وكيف نحكم بموت من مات دماغه مع احتمال بقاء روحه وعدم رحليها.

b. أن الاحتجاج بعدم الاقتصاص من الجاني على منفوذ المقاتل من غيره أو من وصل إلى حركة مذبوح لا يسلم، لأن الجناية عليه والإرث فقط تكون ملحقة بأحكام الميت عند المقاتل به أما بقية الأحكام فتبقى كما هي للأحياء، ويمكن الاستدلال بما يناقضه من أنه لا يجوز دفنه مثلا فيكون حياً.

المبحث الثالث:

الوعد في البرزخ

المطلب الأول

تعريف البرزخ لغة واصطلاحًا

البرزخ لغة: الحاجز والحد بين الشيئين، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾[59]، أي حاجزاً من قدرته لا يغلب أحدهما على صاحبه [60].

واصطلاحاً: اسم ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث [61]، قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[62]، أي: ومن أمامهم وبين أيديهم حاجز بين الموت والبعث[63].

وقد تواترت النصوص بإثبات الحياة في البرزخ[64]، وهي حياة تخالف المعهودة في الدنيا.

قال ابن القيم: (الله سبحانه جعل الدور ثلاثاً، دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكامًا تختص بها وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها... وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها . . . فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً أبديًا أصلاً) [65].

وقد وعد الله أولياءه في حياة البرزخ بأنواع من النعيم، تتفرع عن ثلاثة أمور:

الأول: البشارة بالجنة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[66]، قال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث[67].

يقول ابن كثير: (هذا القول يجمع الأقوال كلها[68]، وهو حسن جداً وهو الواقع) [69].

فالمؤمن إذا احتضر بشرته الملائكة بالجنة، قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[70] [71]، روى ابن ماجة بسنده عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «الميت تحضره الملائكة، فإذا كان رجلاً صالحاً قالوا: أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، أخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء» [72].

وإذا فاز المؤمن بهذه البشرى أحب لقاء الله فأحب الله

لقاءه، روى مسلم بسنده عن عائشة ﷺ مرفوعاً: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء كره الله لقاءه.

فقالت عائشة: يا نبي الله أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟ قال: ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه» [73].

وهذه البشارة تحصل حال الاحتضار كما يفهم من هذا النص ومن غيره من النصوص، يقول شريح: أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين، سمعت أبا هريرة يذكر عن عائشة عن رسول الله ﷺ حديثاً إن كان كذلك فقد هلكنا، فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول الله ﷺ، وما ذاك؟ قلت: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، وليس منا أحد إلا وهو يكره الموت!..

فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ، وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع، فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه[74].

وإذا فارق المؤمن الدنيا، وعرج بروحه إلى السماء بشرته الملائكة بالجنة، روى ابن ماجة بسنده عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «الميت تحضره الملائكة.... الحديث، وفيه: ثم يعرج بها إلى السماء، فيفتح لها، فيقال من هذا؟ فيقولون: فلان، فيقال: مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، أدخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله ﷻ» [75].

وإذا وضع المؤمن في قبره، وامتحنته الملائكة أتاه «رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول: أنا عملك الصالح» [76].

وإذا قام المؤمن من قبره، وكان في عرصات القيامة، بشرته الملائكة بالجنة[77]، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[78]، وقال: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[79].

وهذه البشارة كسائر متعلقات الوعد دائرة مع الإيمان وجوداً وعدماً، إلا أن للعلماء خلافاً في ما يشترط من الإيمان لحصولها، وهو الخلاف في المراد بالاستقامة التي جعلها الله مع التوحيد شرطاً للبشارة بالجنة:

فقد ذهب فريق من أهل العلم إلى أن المراد بها الاستقامة على التوحيد، قال أبو بكر الصديق ﷺ: ما تقولون في هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[80]، فقالوا: ربنا الله، ثم استقاموا من ذنب، فقال أبو بكر: لقد حملتم على غير المحمل، قالوا ربنا الله ثم استقاموا، فلم يلتفتوا إلى غيره [81]، وهذا قول ابن عباس في رواية عنه، وقول مجاهد، والأسود بن هلال والسدي وعكرمة [82].

وقد روي في هذا المعنى حديث مرفوع، رواه الترمذي بسنده عن أنس بن مالك ﷺ: «أن رسول الله ﷺ قرأ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[83]، قال: قد قال لناس ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو ممن استقام» [84].

وذهب فريق آخر إلى أن المراد بها الاستقامة على الدين كله قولاً وعملاً، قال عمر بن الخطاب ﷺ بعد أن تلا الآية: استقاموا والله لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعالب[85]. وهذا قول آخر لابن عباس، وقول قتادة والحسن وابن زيد[86].

والآية محتملة للمعنيين على حد سواء، وقد جمع ابن رجب بين القولين بحمل الأول على الاستقامة على التوحيد الكامل الذي يحجز صاحبه عن الوقوع في

المعاصي، فيكون معنى القولين واحداً، والخلاف بينهما خلاف تعبير، ليس غير[87].

وفي هذا نظر؛ لأنه يخالف الخبر المأثور عن أبي بكر الصديق ﷺ في تفسير الآية، فكلامه صريح في أن الاستقامة عن الذنوب لا تدخل في معنى الآية عنده[88].

ولكن يمكن أن يحمل القول الأول على حصول أصل البشرى، والثاني على حصولها على وجه الكمال، فالمخلط لابد أن تحصل له البشرى وما يتبعها في الوقت الذي يشاؤه رب العالمين، والمستقيم تحصل له البشرى والثواب من أول وهلة، والله أعلم.

المطلب الثاني:

الأمن في البرزخ.

الموت ليس بعدم محض، وإنما هو انتقال من الدنيا إلى البرزخ، التي جعلها الله بحكمته محلاً للفتنة[89]، ثم النعيم أو العذاب.

وقد وعد الله أولياءه بالأمن في البرزخ وما بعده، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [90]، أي لا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة، ولا هم يحزنون على ما وراءهم من الدنيا[91].

والأمن في البزخ يختلف باختلاف متعلقاته، فتارة يكون أمنًا عند السؤال، وتارة يكون أمنًا من العذاب الحسي والمعنوي.

فالأمن عند السؤال ثابت بعموم قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[92]، يقول السعدي: (يثبت الله عباده المؤمنين – الذين قاموا بما عليهم من الإيمان القلبي التام؛ الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها – في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومرادها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين للجواب الصحيح) [93].

وروى ابن أبي عاصم بسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «كنا مع نبينا ﷺ في جنازة فقال: يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن فتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق، فأقعده، فقال له: ما تقول في هذا الرجل..... الحديث، وفيه: قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: ما منا أحد يقوم على رأسه ملك في يده مطراق إلا ذهل عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [94]، ..... الآية» [95].

والأمن والسلامة من الفتنة والسؤال رأساً ثابت لبعض المؤمنين وهم المرابط وشهيد المعركة والمتوفى ليلة الجمعة أو نهارها.

روى مسلم بسنده عن سلمان الفارسي ﷺ مرفوعاً: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان» [96]، أي فتاني القبر، وهما منكر ونكير، فلا يأتيانه ولا يختبرانه، بل يكتفي بموته مرابطاً شاهداً على صحة إيمانه[97].

وروى النسائي بسنده عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «كفى ببارقة السيف على رأسه فتنة»[98]، أي أن صبره على السيف دليل كاف على صدق إيمانه، فاستغني بذلك عن امتحانه في قبره[99].

وروى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر» [100].

وقد رأى السيوطي وغيره من أهل العلم أن عدم الامتحان في القبر لا يختص بالشهيد ومن ذكر معه، بل يشركهم في ذلك النبي والصديق والمطعون والمبطون، وغيرهم؛ لأن وروده في المرابط ونحوه يؤذن بعدم اختصاص الحكم بالشهيد[101].

فالنبي لا يمتحن بطريق الأولى؛ لأنه أعلى درجة من الشهيد؛ ولأن الامتحان في القبر يكون به لا له، وقد قطع بهذا النسفي والسيوطي وهو وجه في مذهب الإمام أحمد[102].

وفي هذا النظر لأن خصائص الشهداء قد تنتفي عن من هو أفضل منهم؛ ولأن الامتحان في القبر لا يكون به فقط، بل يكون عن ربه أولاً، ثم عنه ثانياً، ثم عن دينه ثالثاً، وأيضاً فسؤاله عن نفسه لا مانع منه شرعاً يقول الصنعاني: (أي مانع عن سؤاله عن نفسه، فإن الله تعالى يسأل رسله عما أجيبوا به، وهو عالم بذلك، حيث يقول: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ..... الآية﴾[103]، والنبي ﷺ يقول في تشهده: أشهد أن محمداً رسول الله. وبالجملة فالأدلة على نفي السؤال غير ظاهرة، ودخول الأنبياء في العموم ظاهر، والأولى عندي الوقف في المسألة)[104].

والصديق أيضاً لا يمتحن عندهم بطريق الأولى، يقول القرطبي: (إذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أجل خطراً، وأعظم أجراً، فهو أحرى ألا يفتن؛ لأنه المقدم ذكره في التنزيل على الشهداء في قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾[105]، وقد جاء في المرابط الذي هو أقل مرتبة الشهيد ألا[106] يفتن فكيف بمن هو أعلى مرتبة منه ومن الشهيد؟ والله أعلم)[107].

وفي هذا نظر؛ لأن الأحاديث الصحيحة ترد هذا القول؛ وتبين أن الصديق يسأل في قبره كما يسأل غيره؛ ولأن للشهداء خصائص لا يشركهم فيها غيرهم، ولو كان أفضل منهم[108].

أما المطعون فعمادهم في نفي السؤال عنه ما رواه البخاري ومسلم بسنديهما عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً: «الطاعون شهادة لكل مسلم» [109]، فالمطعون شهيد، والشهيد لا يفتن في قبره، فكذا المطعون لا يفتن[110].

وهذا غير مسلم؛ لأن القياس لا يجري في مثل هذه الأمور؛ ولأنه لو صح إدخال المطعون في هذا الوعد لوجب إدخال كل من سماه الشرع شهيداً، كالغريق وصاحب ذات الجنب، وهم قريب من ثلاثين[111].

وأما المبطون فاعتمدوا في نفي السؤال عنه على ما رواه ابن ماجه بسنده عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «من مات مريضاً مات شهيداً، ووقي فتنة القبر» [112].

وعلى ما رواه النسائي بسنده عن عبد الله بن يسار ﷺ مرفوعاً: «من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره»[113]، وذلك بحمل الحديث الأول المطلق في جميع الأمراض على الحديث الثاني المقيد بمرض البطن[114].

وهذا غير مسلم أيضاً؛ لضعف الحديث الأول؛ واختلاف متعلق الوعد في الحديثين، فالأول في فتنة القبر، والثاني في عذابه، وهما أمران متغايران، وغير متلازمين، فكثير من المؤمنين يفتنون، ثم لا يعذبون.

وآخر متعلقات الأمن في البرزخ الأمن من العذاب فيه، وهو ثابت لكل من حقق الإيمان قولاً وعملاً، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾[115]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[116].

يقول ابن القيم: (لا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته، وامتثلت أمره، واجتنبت نهيه، ولا بدنًا كانت فيه أبدًا، فإن عذاب القبر، وعذاب الآخرة أثر عذاب الله وسخطه على عبده، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار، ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه، فمستقل ومستكثر، ومصدق ومكذب) [117].

ويستثنى من هذا الأمن ضغطه القبر فهي لازمة لأهل البرزخ كافة، روى الإمام أحمد بسنده عن عائشة ﷺ قالت: «إن للقبر ضغطة، ولو كان أحد ناجياً منها نجا منها سعد بن معاذ» [118].

ولبعض خصال الإيمان تأثير خاص في حصول الأمن من عذاب القبر حتى لو كان صاحبها مقصراً في شيء من الأعمال، وهي الشهادة والمداومة على قراءة سورة الملك كل ليلة، روى الترمذي بسنده عن المقدام بن معدي كرب ﷺ مرفوعاً: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر .... الحديث» [119]، وروى النسائي بسنده عن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعاً: «من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة، وإنها في كتاب الله سورة من قرأ بها كل ليلة فقد أكثر وأطاب»[120]. وقد ثبت نظير هذا التأثير في بعض المصائب، روى النسائي عند عبد الله بن يسار مرفوعاً: «من قتله بطنه فلن يعذب في قبره» [121].

الثالث: النعيم في البرزخ:

أحكام البرزخ على الأرواح أصلاً، وعلى الأبدان تبعًا؛ ولهذا تنعم الروح أو تعذب منفصلة عن البدن ومتصلة به، يقول ابن القيم: (مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا، ويحصل له معها النعيم والعذاب) [122].

وقد جمع الله لأوليائه في البرزخ بين نعيم الروح والبدن، روى الإمام أحمد بسنده عن البراء بن عازب ﷺ مرفوعاً: «إن العبد إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء.. الحديث، وفيه: فتعاد روحه في جسده – وذكر الامتحان– ثم قال: فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له من أنت؟ فوجهك الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح»[123].

ومن أنواع النعيم الموعود في البرزخ الأنس بمعية الملائكة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[124]، أي قرناؤكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوزكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم[125].

ومما يكون لروح المؤمن من نعيم البرزخ دخول الجنة، والتنعم بالأكل من ثمراتها، روى الإمام أحمد بسنده عن كعب بن مالك ﷺ مرفوعاً: «نسمة المؤمن[126] إذا مات طائر تعلق[127] بشجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»[128]، أي على شكل طائر تأكل من ثمرات الجنة، وتسرح بين أشجارها، وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة[129].

والفرق بين الدخول والدخول الموعود أن هذا الدخول للروح وحدها، وأن تنعمها في الجنة دون التنعم الموعود بكثير، يقول ابن القيم: (تنعم الأرواح بالجنة في البرزخ شيء وتنعمها مع الأبدان يوم القيامة بها شيء آخر، فغذاء الروح من الجنة في البرزخ دون غذائها مع بدنها يوم البعث، ولهذا قال: تعلق في شجر الجنة، أي تأكل العلقة، وتمام الأكل والشرب واللبس والتمتع فإنما يكون إذا ردت إلى أجسادها يوم القيامة) [130].

والشهداء من أعظم المؤمنين تنعمًا في البرزخ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [131]، فأثبت لهم حياة خاصة في البرزخ، وهي أن جعل الله أروحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل منن ذهب معلقة في ظل العرش،

روى مسلم بسنده عن مسروق قال سألنا عبد الله (هو ابن مسعود) عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[132]، قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، قال ﷺ: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل»[133].

والفرق بين أرواح الشهداء وأرواح سائر المؤمنين في التنعم بدخول الجنة أن أرواح الشهداء تدخلها في جوف طائر، وأرواح سائر المؤمنين تدخلها على شكل طائر، فيكون تنعم الشهداء بوساطة تلك الأبدان أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها[134].

ولعلو نعيم أرواح الشهداء يكون ما يصل إلى أبدانهم أكثر، لأن الروح لا تنعم وحدها، ولعل هذا سر بقاء أبدان الشهداء أكثر من غيرهم، وكأنه كلما كانت الشهادة أكمل كان بقاء الجسد أطول، ولهذا لا تأكل الأرض أجساد الأنبياء، لأن نعيمهم في البرزخ أكمل أنواع النعيم[135]، روى النسائي بسنده عن أوس بن أوس ﷺ مرفوعاً: «إن الله ﷻ قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[136].

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة والبحث الموسوم بـ(الموت والحياة البرزخية)، توصل الباحث إلى النتائج من خلال هذه الدراسة.

1- أن الموت صفة وجودية خُلقت ضد الحياة، وأن الإنسان يموت عندما تقبض روحه، وتمسك نفسه من قبل الخالق عزوجل.

2- تبين لنا أن الموت عند مفكري الإسلام، هو مفارقة الروح للبدن مفارقة تامة، عُرف بأثرها في الجسم بظهور إمارات الموت، من انقطاع نفسه وإحداد بصره، وانفراج شفتيه.

3- اتضح لنا من خلال الدراسة، أن الموت ليس بعدم محض إنما هو انتقال من دار الدنيا إلى دار البرزخ التي جعلها الله بحكمته محلاً للفتنة ثم النعيم أو العذاب.

4- تبين لنا أن الأمن في البرزخ يختلف باختلاف متعلقاته، فتاره يكون أمنًا عند السؤال، وتارة يكون أمنًا من العذاب الحسي والمعنوي.

5- اتضح لنا أن الله أعد في الحياة البرزخية أنواع من النعيم منها، البشارة بالجنة، الأمن في الحياة البرزخية، النعيم في الحياة البرزخية.

6- تبين لنا أن الموت واقع لا مفرّ منه فهو ليس من علم الغيب بل هو حقيقة مترتبة أمام أنظارنا نشاهدها مئات المرات في حياتنا، ونشاهدها في أقرب الناس إلينا.

7- إن الحياة البرزخية تعد من علم الله تعالى الذي فيه كامل رحمة الله في خلقه المؤمنين الموحدين مبنيًا في كتابه الكريم العظيم الرضا والقبول والاستقبال العظيم لكل نفس مطمئنة مؤمنة أقرت بالوحدانية والألوهية لله تعالى.

قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 27 – 30]

التوصيات:

يوصي الباحث عدم الهروب من دراسة الموت من زوايا متعددة، الذي لا مفرّ منه كونه أمرًا ضروريًا وشيئًا منطقيًا من المسلمين، أملًا إلى الوصول إلى وسائل النجاة من أخطاره، والحد من أهواله التي تقود إليها.

كما يوصي الباحث كل مسلم أن يتذكر دائمًا الموت في كل وقت وحين، لذلك نجد الرسول ﷺ كان يقول: "اذكروا هادم اللذات" – أي الموت–. رواه الترمذي في كتاب صفة يوم القيامة باب (26) وقال: حديث غريب حسن.

الهوامش:

(1) ابن منظور: لسان العرب 90/2، والرازي: مختار الصحاح 226.

(2) الجرجاني: التعريفات ص235، محمد بن علي الحصكفي: الدر المختار 189/2.

(3) محمد الخرشي: حاشية الخرشي 113/2.

(4) د. عبد الله محمد عبد الله: بحث «نهاية حياة الإنسانية» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج1987/2) ص627.

(5) الشيخ عبد القادر يوسف: الدوسية الفقهية ص310.

(6) سورة الزمر آية 42.

(7) أخرجه مسلم 634/2 رقم 920/الجنائز/ إغماض الميت.. وأحمد 298/6، وابن ماجه: 467/1 رقم 1454 عن أم سلمه بنفس اللفظ، وأخرجه مسلم أيضاً عن أبي هريرة بلفظ آخر 635/2 رقم 921 /الجنائز/ في شخوص بصر الميت، رجاء أيضاً من حديث شداد بن أوس، أخرجه أحمد 125/4، وابن ماجه 467/1-468 رقم 1455، والحاكم في المستدرك 352/1، وفي إسناد حديث شداد مقال وجاء أيضاً من حديث قبيصة بن ذؤيب وأبي قلابة مرسلا.

(8) د. محمد سعيد رمضان البوطي: بحث «انتفاخ الإنسان بأعضاء إنسان حيا وميتاً» (قضايا فقهية معاصرة) ص26.

(9) الشيخ عبد القادر يوسف: الدوسية الفقهية ص310.

(10) د. محمد نعيم ياسين: بحث «نهاية الحياة الإنسانية» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج1987/2) ص167.

(11) سورة الأحزاب آية 38.

(12) سورة غافر آية 85.

(13) سورة الأحزاب آية 62.

(14) أبن حجر فتح الباري 362/11

(15) سورة ق الآيات 16-19.

(16) سورة الأنعام آية 93.

(17) سورة الأحزاب آية 18.

(18) الجامع لأحكام القرآن 153/14.

(19) سورة محمد آية 20.

(20) الجامع لأحكام القرآن 243/16.

(21) انظر أسرار الموت بين العلم والدين ص50: د. مؤنس محمود غانم (المجلة العربية عدد مارس 1984م).

(22) سورة القيامة الآيات 26-30.

(23) د. مؤنس محمود غانم.

(24) أبن قدامه المغني 337/2.

(25) المصدر نفسه.

(26) المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية: الحياة الإنسانية: بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي، ص677 الكويت 1985م.

(27) د. عقيل بن أحمد العقيلي: حكم نقل الأعضاء 156-157، و د. محمد المختار السلامي: بحث «متى تنتهي الحياة» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج2 /1987) ص716-717، و د. عبد الله محمد عبد الله: بحث «نهاية الحياة الإنسانية» (مجلة الفقه الإسلامي ع3 ج2/ 1987) ص629، و د. محمد سليمان الأشقر: بحث «نهاية الحياة» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج1985/2) ص663، و د. محمد سعيد رمضان البوطي: «انتفاع الإنسان بأعضاء إنسان آخر حيا وميتا» (قضايا إسلامية معاصرة) ص126.

(28) ينظر، المختار محمد، (متى تنتهي الحياة) ص716_717.

(29) محمد نعيم ياسين: بحث «نهاية الحياة الإنسانية في ضوء اجتهادات العلماء المسلمين والمعطيات الطبية» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج2/ 1987) ص635 وما بعدها.

(30) الفتاوى الهندية 157/1، الخرشي وحاشية العدوي 123/2، الإمام النووي: روضة الطالبين 98/2، ابن قدامه: المغني 452/2.

(31) محمد الخرشي: حاشية الخرشي 123/2.

(32) الإمام النووي: روضة الطالبين 98/2.

(33) الفتاوى الهندية 157/1.

(34) ينظر المختار: محمد (متى تنتهي الحياة) مجلة الفقه الإسلامي ص 716_717.

(35) د. عقيل بن أحمد العقيلي: حكم نقل الأعضاء ص151.

(36) د. عصام الدين الشربيني: بحث «الموت والحياة بين الأطباء والفقهاء» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج2 1987) ص580.

(37) ينظر محمد ياسين (نهاية الحياة الإنسانية مجلة الفقه الإسلامي عدد "3") 158/2.

(38) د. أبو بكر أبو زيد: بحث «جهاز الإنعاش وعلامة الوفاة بين الأطباء والفقهاء» (فقه النوازل) 220/1.

(39) د. مختار المهدي: بحث «نهاية الحياة الإنسانية» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج2/ 1987) ص564.

(40) د. أحمد القاضي: بحث «القلب وعلاقته بالحياة» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج2 / 1987) ص616.

(41) د. مختار المهدي: بحث «نهاية الحياة الإنسانية» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج1987/2) ص 563-564، و د. محمد علي البار: بحث «موت الدماغ» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج1987/2) ص546.

(42) المراجع نفسها.

(43) د. محمد علي البار: موت القلب أو موت الدماغ ص 128-132.

(44) د. محمد علي البار: موت القلب أو موت الدماغ ص 133-135.

(45) د. أبو بكر أبو زيد: بحث «جهاز الإنعاش وعلامة الوفاة بين الأطباء والفقهاء» (فقه النوازل) 220/1.

(46) د. محمد سعيد رمضان البوطي: بحث «انتفاع الإنسان بأعضاء إنسان آخر حيا وميتاً» (قضايا فقهية معاصرة) ص127.

(47) د. عقيل بن أحمد العقيلي ص154.

(48) الشيخ بدر المتولي عبد الباسط: بحث «نهاية الحياة الإنسانية في نظر الإسلام» (مجلة الفقه الإسلامي ع3 ج1987/2) ص682.

(49) د. توفيق الواعي: بحث «حقيقة الموت والحياة في القرآن والأحكام الشرعية» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج1987/2) ص713.

(50) الشيخ السلامي: بحث «متى تنهي الحياة؟» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج1987/2) ص 687.

(51) الأستاذ عبد القادر بن محمد العماري: بحث «نهاية الحياة» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج1987/2) ص720.

(52) المناقشة، كلام الشيخ عبد الله البسام (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج1987/2) ص786.

(53) د. محمد الشنقيطي: أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها ص330.

(54) د. محمد سليمان الأشقر: بحث «نهاية الحياة» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج2/ 1987) ص665-666.

(55) سورة الكهف الآيات 9-12.

(56) د. توفيق الواعي: بحث «حقيقة الموت والحياة في القرآن والأحكام الشرعية» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج1987/2). و د. محمد الشنقيطي: أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها ص323-324.

(57) د. بكر أبو زيد: بحث «جهاز الإنعاش وعلامة الوفاء بين الأطباء والفقهاء» (فقه النوازل) 231/1-232، و د. توفيق الواعي: بحث «حقيقة الموت والحياة في القرآن والأحكام الشرعية» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج1987/2) ص712، والشيخ بدر المتولي عبد الباسط: بحث «نهاية الحياة الإنسانية في نظر الإسلام» (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3 ج1987/2) ص682، و د. محمد الشنقيطي: أحكام الجراحة والآثار المترتبة عليها ص 324-325.

(58) المراجع نفسها.

(59) سورة الفرقان آية 53.

(60) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 59/13، الاصفهاني: المفردات ص43، الفيروز آبادي: القاموس المحيط 266/1.

(61) القرطبي: الجامع لأحكام 150/12، الاصفهاني: المفردات ص43.

(62) سورة المؤمنون آية 100.

(63) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 150/12.

(64) ابن أبي الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية ص390.

(65) ابن القيم: الروح ص 88-89، ابن أبي العز الحنفي شرح الطحاوية ص391.

(66) سورة فصلت آية 30.

(67) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 99/4.

(68) ينظر في سائر الأقوال: الطبري: جامع البيان 24/12-116، البغوي: معالم التنزيل 114/4، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن 15/ 358 - 359، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 99/4.

(69) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 99/4 ابن القيم: الروح ص 129.

(70) سورة الفجر الآيات 27-30.

(71) الاستدلال بالآيات مبني على أساس أن هذه البشرى تقال عند الموت، وهو القول الموافق لظاهر اللفظ، ينظر ابن القيم كتاب الروح ص 107-129.

(72) ابن ماجة: سنن ابن ماجة: كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له 1423/2، 1424، والحديث صححه الألباني ينظر صحيح ابن ماجة 420/2 وللمزيد من الروايات في هذا المعنى ينظر المسند للإمام أحمد 287/4 والنسائي: سنن النسائي: كتاب الجنائز، باب ما يلقى المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه 8/4.

(73) مسلم: صحيح مسلم: كتاب الذكر، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه 4:2065، 2066، والبخاري: صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه 2376/5.

(74) مسلم: صحيح مسلم: كتاب الذكر، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه 2066/4، وهذه صفة المحتضر، فإذا أشرف على مفارقة الدنيا فتح عينه إلى فوق ولم يطرف وترددت روحه في صدره، وتشنجت أصابعه، أي اجتمعت وانقبضت متقلصة، ينظر ابن الاثير: جامع الأصول 597/9-598، ابن حجر: فتح الباري 359/13.

(75) سبق تخريجه.

(76) قطعة من حديث البراء بن عازب، ينظر المسند للإمام أحمد 287/4 والحديث صححه ابن القيم وغيره ينظر كتابه الروح ص68-69.

(77) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 424/2.

(78) سورة الأنبياء آية 103.

(79) سورة الحديد آية12.

(80) سورة فصلت آية 30.

(81) الطبري: جامع البيان 115/24/12.

(82) المرجع نفسه وابن كثير: تفسير القرآن العظيم 98/4.

(83) سورة فصلت آية 30.

(84) الترمذي: سنن الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة حم السجدة 376/5 وهو حديث ضعيف ينظر: عبد القادر الأرناؤوط تخريج أحاديث جامع الأصول 345/2.

(85) الطبري: جامع البيان 115/24/12، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 98/4.

(86) المرجع نفسه.

(87) ابن رجب: جامع العلوم والحكم ص192.

(88) ينظر ما سبق من هذا البحث.

(89) الفتنة هي سؤال المرء في البرزخ عن ربه وعن دينه وعن نبيه، ينظر البخاري: صحيح البخاري: كتاب العلم، باب من أجاب الفيتا بإشارة اليد والرأس 44/1.

(90) سورة يونس آية62.
(91) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 422/2.
(92) سورة إبراهيم آية27.
(93) السعدي: تيسير الكريم الرحمن 140/4.
(94) سورة إبراهيم أية 27.
(95) ابن أبي عاصم الشيباني: كتاب السنة 417/2-418 وقد ذكر المحقق أنه حديث صحيح ينظر المرجع نفسه ص418 تخريج الألباني.
(96) مسلم: صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله 1520/3.
(97) المناوي: فيض القدير 34/5.
(98) النسائي: سنن النسائي: كتاب الجنائز، باب الشهيد 99/4.
(99) ابن القيم: كتاب الروح ص113.
(100) الإمام أحمد: المسند 169/2.
(101) السيوطي: منظومة التثبيت بشرحها للصنعاني ص91 – 97، المناوي: فيض القدير 4/5.
(102) ابن القيم: كتاب الروح ص 113، السيوطي: منظومة التثبيت بشرحها للصنعاني ص 94-97.
(103) سورة المائدة آية 109.
(104) الصنعاني، محمد بن اسماعيل: جمع التثبيت ص96، ابن القيم: كتاب الروح ص 113.
(105) سورة النساء آية 69.
(106) هكذا، وكأن الصواب من الشهيد أنه لا يفتن.
(107) القرطبي: التذكرة ص152.
(108) ابن القيم: كتاب الروح ص113.
(109) البخاري: صحيح البخاري: كتاب الجهاد، باب الشهادة سبع سوى القتل 1041/3، مسلم: صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء 1522/3.
(110) السيوطي: منظومة التثبيت بشرحها ص91.
(111) الصنعاني: جمع التثبيت ص93.
(112) ابن ماجة: سنن ابن ماجة: كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن مات مريضا 516/1، وهو حديث ضعيف، ذكره بعض أهل العلم في ضمن الموضوعات، البوصيري: مصباح الزجاجة 537/1-538.
(113) النسائي: سنن النسائي: كتاب الجنائز، باب من قتله بطنه 98/4 والحديث صححه الألباني ينظر صحيح الجامع 1102/2-1103
(114) القرطبي: التذكرة ص152.
(115) سورة يونس الآيتان 62-63.
(116) سورة الأنعام آية82.
(117) ابن القيم: كتاب الروح ص 107-108.
(118) أحمد بن حنبل: المسند 55/6، والحديث صححه الألباني ينظر الجامع الصغير 435/1، وقد ذكر ابن تيمية – رحمه الله- أن هذه الضغطة من قبل المصائب المكفرة، لأن عمومات التكفير بالمصائب تشمل مصائب الدنيا والبرزخ والآخرة، ابن تيمية: مجموع الفتاوى 24/10،375/45.
(119) الترمذي: سنن الترمذي: كتاب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد 188/4،187، ابن ماجة: سنن ابن ماجة: كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله: 935/2-936 والحديث صححه الترمذي وغيره، ينظر سنن الترمذي 188/4، الألباني: أحكام الجنائز ص36.
(120) النسائي: عمل اليوم والليلة ص 433-434.
(121) تقدم تخريجه.
(122) ابن القيم: كتاب الروح ص73-74، ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية ص 390-391.
(123) تقدم تخريجه.
(124) سورة فصلت الآيتان 30-31.
(125) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 99/4.
(126) أي روحه، ينظر ابن القيم كتاب الروح ص131.
(127) أي تأكل وتدعى، المرجع نفسه.
(128) الإمام أحمد: المسند 455/3، وقد ذكر ابن القيم وابن كثير أن اسناده صحيح، ينظر كتاب الروح ص130 وتفسير القرآن العظيم 427/1.
(129) ابن القيم: كتاب الروح ص131، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم 427/1.
(130) ابن القيم: كتاب الروح ص134.
(131) سورة آل عمران آية169.
(132) سورة آل عمران آية 169.
(133) مسلم: صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة 1502/3، أبو داود: سنن أبي داود: كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة 32/3-33.
(134) ابن القيم: كتاب الروح ص136، وهذه حياة أعلى الشهداء، ودونها مراتب كثيرة، فمن الشهداء من يكون على نهر بارق بباب الجنة، في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا، ومنهم من يكون محبوسا بدينه، ومنهم من يكون معذبا في قبره، كصاحب الشملة التي غلها ثم استشهد، ينظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر 1548/1547/4.
(135) القرطبي: التذكرة ص163-164، ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية ص396.
(136) النسائي: سنن النسائي، كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة 92/3.

المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم.

الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ/855م):

1- المسند، المكتب الإسلامي بيروت – لبنان، بدون سنة الطبع.

البوطي: محمد سعيد رمضان

2- انتفاع الإنسان بأعضاء حياً وميتاً، بحث ضمن قضايا فقهية معاصره، دمشق، سوريا 1990م.

البار: د. محمد علي
3- موت القلب أم موت الدماغ، بدون سنة الطبع والنشر.
البخاري: محمد بن إسماعيل
4- صحيح البخاري، بشرح الكرماني: محمد بن يوسف (ت786هـ) المطبعة البهية المصرية، 1356هـ-1937م، وطبعة دار ابن كثير اليمامة، بيروت ط/ 3، 1407هـ، 1987م وطبعة 1413هـ-1992م.
البرنها بودي: الشيخ نظام وآخرون من علماء الهند
5- الفتاوى الهندية: الناشر، دار النشر الكتب العلمية 1421هـ -2000م
البسام: الشيخ عبدالله.
6- المناقشة، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، 1967م.
الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة:
7- الجامع الكبير، المعروف بـ سنن الترمذي، تحقيق: أستاذنا د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1998م
الجرجاني: علي بن محمد:
8- التعريفات: طبعه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط/1431هـ.
الخرشي: محمد عبدالله علي الخرشي:
9- حاشية الخرشي، دار الفكر، مكتبة عين الجامعة بدون سنة الطبع والنشر.
ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر:
10- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة ببيروت لبنان، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، إخراج: محب الدين الخطيب.
ابن رجب: عبد الرحمن بن أحمد:
11- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، دار المعرفة بيروت (بدون سنة الطبع).
أبو زيد: د/ بكر
12- جهاز الإنعاش وعلامة الوفاة بين الأطباء والفقهاء فقه النوازل، بدون سنة الطبع والنشر.
السعدي: عبدالرحمن بن ناصر السعدي:
13- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، راجعه قوّمة، طه عبدالرؤوف سعد، الناشر دار البينة للتوزيع والنشر بدون سنة الطبع.
السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر
14- منظمة التثبيت، شرحها الصنعاني بدون سنة الطبع.
السلامي: محمد المختار.
15- متى تنتهي الحياة، مجلة الفقه الإسلامي 1987م.
الشيباني: ابن ابي عاصم أبي بكر بن عمر.
16- السنة، تخريج، محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي ط/1، 1400هـ.
الشربيني: د/عصام الدين.
17- الموت والحياة بين الأطباء والفقهاء، مجلة الفقه الإسلامي، 1987م.
الشنقيطي: د/ محمد
18- أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، بدون سنة الطبع.
الأشقر: د/عمر سليمان.
19- نهاية الحياة، في مجلة الفقه الإسلامي 1987م.
الصنعاني: محمد بن إسماعيل
20- جمع التثبيت في شرح أبيات التثبيت، مكتبة دار الإيمان بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة 1404هـ.
الطبري: محمد بن جرير:
21- جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد شاكر - مؤسسة الرسالة ط/1، 1420هـ.
العقيلي: د/ عقيل بن أحمد.
22- حكم الأعضاء، مجلة فقه الإسلام 1987م
العمادي: عبدالقادر بن محمد.
23- نهاية الحياة، مجلة الفقه الإسلامي، 1987م.
عبدالله: عبدالله محمد عبدالله.
24- نهاية الحياة الإنسانية، مجلة الفقه الإسلامي1987م.
ابن إبي العز الحنفي: صدر الدين علي بن محمد.
25- شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق، أحمد علي، دار الحديث القاصرة 1421هـ-2000م.
الفيروز ابادي: مجد الدين محمد بن يعقوب.
26- القاموس المحيط: المؤسسة العربية للطباعة والنشر بدون سنة الطبع.
القرطبي: محمد بن أحمد الانصاري.
27- الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط/1 ، 1418هـ-1995م.
28- التذكرة من أحوال الموتى والآخرة، المكتبة السلفية بدون سنة الطبع.
ابن قدامة: موفق الدين عبدالله بن أحمد محمد.
29- المغني لابن قدامة، تحقيق، محمد عبدالوهاب فايد مكتبة القاهرة، 1388هـ-1968م.
ابن القيم الجوزية: محمد بن أيوب.
30- الروح: تحقيق، محمد إسكندر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط/1، 1408هـ.
القشيري: مسلم بن الحجاج:
31- صحيح مسلم، دار الحديث - القاهرة 1918م.
ابن كثير: عماد الدين أبو القراء إسماعيل بن عمر.
32- تفسير القرآن العظيم، تحقيق ناصر بن أحمد الدمياطي دار العقيدة، طبعة الإسكندرية 1429هـ-2008م.
ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم.
33- لسان العرب: مطبعة دار صادر، ببيروت لبنان بدون سنة الطبع.
المهدي: د/ مختار.
34- نهاية الحياة الإنسانية، ضمن مجلة الفقه الإسلامي 1987م.

ابن ماجة: الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني.
35- سنن ابن ماجة، علق عليه، محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر للطباعة والنشر بدون سنة الطبع.
المناوي: زين الدين محمد بن عبدالرؤوف.
36- فيض القدير بشرح الجامع الصغير، المطبعة العلمية 1422هـ- 2001م.
مؤنس: محمد غانم.
37- أسرار الموت بين العلم والحياة – المجلة العربية 1984م.
المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية.
38- الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي ط/2_1405هـ_1985م.
المتولي: الشيخ بدر الدين عبدالباسط.
39- نهاية الحياة الإنسانية في نظر الإسلام – مجلة الفقه الإسلامي 1987م.
النوري: أبو زكريا يحيى بن مشرف الحزامي الدمشقي.
40- روضة الطالبين وعمدة المتقين، دار المعرفة بدون سنة الطبع.
النسائي: أحمد بن شعيب النسائي.
41- سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي 1987م.
الواعي: د/ توفيق.
42- حقيقة الموت والحياة في القرآن، والأحكام الشرعية – مجلة الفقه الإسلامي 1987م.
ياسين: محمد نعيم.
43- نهاية الحياة الإنسانية في ضوء اجتهادات العلماء المسلمين والمعطيات الطبية، مجلة الفقه الإسلامي 1987م.
يوسف: الشيخ عبدالقادر يوسف.
44- الدوسية الفقهية، ضمن مجلة الفقه الإسلامي 1987م.

Death and the Barzakh Life: A Doctrinal Study

Abdullah Brik Awadh Baltayour

Abstract

After praising Almighty Allah and sending peace and blessings upon His trustworthy Prophet, this research, entitled "Death and the Barzakh Life: A Doctrinal Study," explores the concepts of death and the intermediate (Barzakh) life from a doctrinal perspective. These unseen matters have long been absent from the forefront of human thought, and in order to avoid confusion and deviation in understanding them—particularly the Barzakh life—this study draws upon the verses of Allah and His mercy towards His servants to offer clarity, elaboration, and explanation of hidden cosmic truths, while withholding their specific modalities, as these are part of the divine test and trial decreed by Allah upon His servants on earth. This is the immutable way (Sunnah) of Allah in His creation, a way that no human can alter or replace. The research is structured into an introduction, three main sections—each consisting of two subsections—and a conclusion that presents the key findings and recommendations. The study aims to clarify the definition of death in Islamic texts and according to Muslim scholars. It also seeks to examine the agony of death as portrayed in the Qur'an and forensic medicine, and to elucidate the Islamic ruling on the end of human life, affirming that death is the transition of the soul from this worldly life to the Barzakh realm.The study revealed that death is a real existential state created as the opposite of life. A human being dies when their soul departs and their self is taken by the Creator, Almighty Allah. According to Muslim scholars, death is defined as the complete separation of the soul from the body, as evidenced by the physical signs of death. Death is not absolute non-existence; rather, it is a transition from the worldly abode to the Barzakh realm, which, through divine wisdom, has been made a place of trial—followed by either bliss or torment. The study also revealed that security in the Barzakh life varies depending on its context—sometimes it means safety from fear, and at other times, protection from physical or spiritual torment. It further showed that Allah has prepared various forms of bliss in the Barzakh life, including glad tidings of Paradise, peace, and comfort. Finally, the study affirmed that death is an inevitable reality—it is not a matter of the unseen knowledge, but a visible truth that unfolds before our very eyes and touches even those closest to us.